بُنيت على أنقاض وأشلاء الفوضى الخلاّقة الأمريكية: المنطقة تعيش الفوضى الخلاّقة الايرانية

سمير عبيد*

■ قبل الدخول في هذا الموضوع علينا العودة الى الوراء حيث فترة الثمانينات من القرن المنصرم، أي بعد نجاح الثورة الاسلامية في ايران عام 1979، والتي كانت حدثا مهما في التاريخ السياسي والدولي، لأنها الثورة الاسلامية الأولى التي طرحت مشروعا اسلاميا، وبتوافق بين رجال الدين الاسلاميين، ونجحت وفرضت نفسها محليا واقليميا وعالميا، وقد نستطيع تسميتها ببداية خروج الحركات الاسلامية عالميا ودوليا، أي أن الثورة الاسلامية في ايران أعطت للحركات الاسلامية في المنطقة والعالم جرعة من القوة، وأصبحت تشعر أن لها مرجعية معترفا بها دوليا من خلال الاعتراف بالنظام الاسلامي في ايران، ولهذا نالت تأييد معظم المسلمين في العالم نتيجة الشعارات التي رفعتها، وهي ثورة من أجل المستضعفين في أرجاء المعمورة، وهو شعار أممي حرك عواطف معظم حركات التحرر العالمية، ولكن الذي صدم العالم هو الشعار أو المشروع الذي أصر عليه الامام الراحل (الخميني) وهو مشروع تصدير الثورة دون مراعاة واحترام العلاقات الدولية والمواثيق بين الدول، ولقد ابتليت دول المنطقة وتحديدا الدول الخليجية بداء تصدير الثورة مما دفعها للاعتماد على الغرب من أجل الحماية، وهنا الحجة والسبب الأول الذي جاء من أجله الأمريكان وغيرهم الى المنطقة، وتحديدا منطقة الخليج المهمة للعالم من الناحية الاستراتيجية والاقتصادية.

أي أن الخميني ومن خلال مشروعه (تصدير الثورة) برّر مجيء الأمريكان وبعض الأطراف الغربية بحجة حماية مصالحها وحلفائها في المنطقة، ولم يكتف هؤلاء بهذا، بل غرروا من الجانب الآخر بالرئيس صدام حسين (الغرب وبعض الأنظمة الخليجية) أن يكون هو رأس الحربة وسيكونون جميعا معه، وتحت هدف ايقاف المشروع الايراني (مشروع تصدير الثورة) ومن ثم انكفاؤه نحو الداخل الايراني، ولهذا كانت طلبات الرئيس العراقي صدام حسين (للعلم لا زال هو الرئيس الشرعي للبلاد من وجهة نظر الملايين من الناس وحتى داخل العراق) لا تُرد بل تُلبى وبسرعة سواء كانت مادية أو لوجستية أو عسكرية، ولقد كانت هناك بعض الاهداف السرية لكل طرف، وكانت غير معلومة بل مكتومة في الصدور.

فالرئيس صدام كان يريد أن يكون البطل القومي من وراء ذلك، والمدافع عن العرب لأنه حمى العرب وصمد من خلال البوابة الشرقية، وبالتالي ترتبت على ذلك استحقاقات كثيرة لوجستية وسياسية واستراتيجية ودولية ولصالح نظام صدام والعراق، وهذا من وجهة نظر صدام حسين، ولهذا فوجيء بل صُدم من المواقف الكويتية وبعض المواقف الخليجية بعد نهاية الحرب، واعتبرها خيانة لمواقفه القومية والعربية، وحدث نتيجة ذلك ما حدث من حروب وفرقة ودمار.

أما الأمريكان ومن معهم من حلفاء في المنطقة ومن الغرب فكانت في صدورهم نية ضرب المشروعين المتنامين معا، وهما (مشروع الثورة الايرانية ومشروع صدام حسين القومي) ولقد تحقق لهم ذلك، أي أجلوا مشروع تصدير الثورة الايرانية وخنقوه في الداخل الايراني من خلال الحرب العراقية ـ الايرانية (1980 ـ 1988) وما ترتب بعدها، ومن ثم أنهوا مشروع صدام حسين القومي، بل أسقطوا نظام صدام حسين نفسه ودخلوا العاصمة بغداد واحتلوا العراق، وجعلوا صدام حسين فرجة للعالم الغاية منها اهانة قادة المنطقة، وفي مقدمتهم القادة العرب، ومن ثم أصبح فزاعة غايتها تخويف القادة جميعا، ويبقى الهدف الآخر هو التمثيل الخسيس بالمشروع القومي والعروبي من خلال اهانة الرئيس صدام والقيادة العراقية، ومطاردة بقايا المشروع القومي في سورية ولبنان وليبيا واليمن وغيرها، ومن خلال التهديد والتهويل والتشويه من خلال الاعلام والاشاعة والملفات الكاذبة والمفبركة.

ولقد كانت لدى الأمريكان والغرب والبعض من حلفائهم في المنطقة الصفحة الثانية من المشروع، وهي (انهاء المشروع الايراني) وعلى طريقة انهاء المشروع القومي من خلال اسقاط نظام صدام حسين ووضعه في الحفرة ثم القفص ثم اصدار الحكم بالاعدام ومن محكمة هزيلة أسسها ويأمرها ولا زال الاحتلال، فالولايات المتحدة ومن معها من حلفاء دوليين واقليميين ومحليين كانوا يرغبون بالمسلسل نفسه اتجاه القادة في ايران، والهدف انهاء مشروع الملالي في ايران والعالم، وكان مشروعهم يحمل تسمية (الفوضى الخلاقة) من خلال العراق، والفوضى الخلاقة تعني تهديم هرم المكعبات ثم اعادة ترتيبها وبنائها من جديد وضمن طريقة تفتيت الثابت وتجميع المائع والسائب ضمن أنابيب هم صنعوها وهي الأنابيب الطائفية والعرقية والمذهبية والاثنية.

أي تقسيم البلدان من خلال دعم استسياد الطوائف والمذاهب والأعراق لتكون هي صاحبة القرار والتحكم بمصير الذي كان ثابتا (الوطن)، والهدف كي تسود استراتيجية (فرق تسد) ومن ثم يكون الطموح أقل من المحلي من خلال طموح تطوير وتنمية الطائفة والمذهب والعِرق على حساب الوطن الذي كان ثابتا، وهنا يحصل التجاذب والتخاصم بين هذه التقسيمات الطارئة، وتبقى الثروات سائبة لتكون من حصة الدول الكبرى، وأصحاب المشروع الأصلي (الفوضى الخلاقة)، وسوف يكون بقاؤهم بتوسل من قيادات المذاهب والأعراق والطوائف، لأن هذه القيادات تصبح تحت هاجس مرض الزوال عند مغادرة الكبار، أي أصحاب المشروع الكبير والذين هم عربات القطار الذي تقوده وتحمل بوصلته الولايات المتحدة، وهذا ما هو حاصل في العراق أي أن الزعامات الطائفية والمذهبية والعِرقية تنادي ببقاء الاحتلال لأنها تشعر بهاجس الزوال حال خروج الولايات المتحدة، ولهذا بررت لها الولايات المتحدة بالبحث عن بديل يدعم بقاءها، لهذا أصبح كل عرق ومذهب وطائفة يذهب صوب من يشاركه أهدافه كي يطلب منه الدعم والمعونة، وهذا يدل أن لا حل لموضوع العراق وموضوع الدول التي أصبح وضعها يشبه الموضوع العراقي مثل لبنان والصومال والسودان وحتى أفغانستان، ويمكننا القول بأن الولايات المتحدة أصبحت مشكلة، فبقاؤها مشكلة ورحيلها مشكلة، بعد أن سمحت هي بتعقيد المشكلة من خلال السماح لدول أخرى أن تتغلغل في البلدان التي تحتلها أو لديها سطوة فيها من الناحية السياسية والديبلوماسية.

فقد تغلغلت ايران في العراق وبطريقة ماراثونية وبجميع الجهات، وأصبحت تتدخل في القرار العراقي سياسيا ومذهبيا ومناطقيا وحتى دبلوماسيا وقبليا، وكذلك تغلغلت ايران في لبنان وأصبحت لاعبا رئيسيا، وحتى في سورية فلديها تغلغل مخيف وقد يقلب جميع الموازين الدولية والعربية والاقليمية والمحلية وفي أية لحظة، ويتحمل المسؤولية الكاملة في هذا العرب الذين لم يقفوا مع سورية، بل ان قسما منهم ركب موجة العداء معها، وكان ذلك موقفا غير موفق، وهكذا فهم يتحملون المسؤولية تجاه ما حصل ويحصل في العراق ولبنان والصومال والسودان والبقية تأتي.

هل ستأذن الولايات المتحدة بالشروع في الحرب الطائفية الكبرى (الحروب الاستعاضية) ومن العراق أيضا؟

لهذا فان الفوضى الخلاقة الأمريكية انقلبت على الولايات المتحدة نفسها داخليا وخارجيا، فمن الداخل انتصر الديموقراطيون وطوقوا الادارة الأمريكية والرئيس الأمريكي الجمهوري جورج بوش، وان أخطر أسلحة الحزب الديموقراطي هو سن القوانين والتشريعات التي تقيّد الادارة والرئيس، وهذا ما يخيفهما، ولكن الذي يخيف الشعب الأمريكي والعالم هو أنه ربما قد تلجأ الادارة الأمريكية الى الطرق غير المشروعة لدعم حروبها ودعم سيناريوهاتها أي العودة الى استراتيجية (الكونترا)، وهي الاستراتيجية التي اتبعتها ادارة الرئيس (ريغان) خصوصا وأن الولايات المتحدة أصبحت تحت سيطرتها دولة كاملة تزرع وتصنّع وتصدر المخدرات وهي أفغانستان، وأصبح لديها طريق تجاري ومعبدّ نحو العالم وهو العراق وباستطاعتنا أن نطلق عليه (طريق الحرير الجديد لتجارة وتهريب المخدرات)، ومن ثم سترهق الأنظمة الخليجية أي سترهق ميزانيات الدول الخليجية من أجل تغطية الحروب الأمريكية، فهل يا ترى ستعتمد الادارة الأمريكية على (الكونترا الأفغانية) والمكسيكية كي تدعم حروبها ونزواتها في المنطقة والعالم، ومن خلال العمر القصير جدا والمتبقي لادارة الرئيس بوش في قيادة الولايات المتحدة؟

أما خارجيا فالفوضى الخلاقة الأمريكية حطمت قرني الولايات المتحدة في العراق، وفي أماكن أخرى ولصالح المشروع الاقليمي الايراني الذي استفاد كثيرا من الفوضى الخلاقة الأمريكية، ولهذا ساعدت ايران الولايات المتحدة في أفغانستان والعراق لأن الحرب على (ما يسمى بالارهاب) قدمت الى ايران خدمات جليلة، أي قدمت للمشروع الايراني خدمات جليلة وهي انهاء نظام طالبان الذي كان خطرا على ايران والمشروع الايراني، وكذلك انهاء نظام صدام حسين الذي كان هو الآخر خطرا على المشروع الايراني، بل ان من جلس مكان نظام صدام حسين وبدعم أمريكي نظام ولائه الى ايران، ونتيجة ذلك تطورت لدى ايران (استراتيجية المخالب) والتي صنعت من خلالها ايران مخلب الهزارة في أفغانستان، ومخلب حزب الله في لبنان، ومخلب المجلس الأعلى للثورة الاسلامية ومنظمة بدر وحزب الدعوة في العراق أي الحكومة العراقية الحالية وبنسبة 80 %، ومخلب البحرين أي أن الموالين لايران أصبحوا يهيمنون على البرلمان البحريني أخيرا، ومخلب السيدة زينب (المخلب المستتر) في سورية، ومخلب الحوثيين في اليمن، والمخلب المنتظر في الشرقية السعودية، ومخلب الخلايا النائمة في السودان والذي تأسس عندما كان الحاكم الفعلي هناك الشيخ الترابي، ناهيك عن المخالب المستترة والنائمة في الكويت والامارات وفي بلدان أخرى في العالم، ولقد صنعت تلك المخالب استباقيا كمصدات وكعوائق للمشروع والحرب التي كانت تلوح بها الولايات المتحدة واسرائيل ضد ايران، ولكن بعد فشل الولايات المتحدة في العراق بسبب صمود المقاومة العراقية، وفشلها في مناطق أخرى في المنطقة والعالم اصبحت ايران أقوى اقليميا ودوليا، لهذا انتقلت من استراتيجية (المخالب) نحو استراتيجية السرقة، وبهذا سرقت الفوضى الخلاقة الأمريكية لتكون (الفوضى الخلاقة الايرانية) ولهذا أصبحت المنطقة تحت مشروع (الفوضى الخلاقة الايرانية) وليس الأمريكية لأن الولايات المتحدة في مأزق حقيقي من الناحية السياسية والعسكرية والاقتصادية، وأمام استراتيجية الانكفاء المحمود، أو الانكفاء التكتيكي لهذا ستلجأ الى الانسحاب من العراق نحو الدول الخليجية، كي لا يُقال عنها أنها هربت أو انهزمت، ولكن ستترك العراق الى ايران وهنا الكارثة على العراق والعراقيين والمنطقة، فيا ترى هل ستجبر الولايات المتحدة باعطاء الاذن الى (حرب الاستعاضة) أي يُعطى الضوء الأخضر للمملكة العربية السعودية لكي تقود تحالفا عربيا ودوليا لحربها مع ايران في العراق بحجة تحرير العراقيين كي تبعد الخطر المحدق بها من ايران من خلال العراق؟

فان جميع البوادر تؤشر لهذا، ولكن هل يتحمل العراق والعراقيين حروبا استعاضية أخرى؟ علما أن العراقيين قادرون على طرد الاحتلال الأمريكي والتخلص من التغلغل الايراني الذي وصل لدرجة الاحتلال تقريبا، ولكنهم بحاجة للدعم السياسي والاعلامي والمادي وليسوا بحاجة للجيوش.

المنطقة تعيش مشروع الفوضى الخلاقة الايرانية وليس الأمريكية!!

لهذا فالفوضى الخلاقة الايرانية هي التي عمّت في المنطقة، وبعد نجاح ايران باجهاض الفوضى الخلاقة الأمريكية والاستفادة منها حيث أدخلتها الى ورشة تجميع ايرانية لتخرج على شكل مشروع الفوضى الخلاقة الايراني، ولكن ايران تختلف عن الولايات المتحدة حيث أن الولايات المتحدة لم تضع خططها على اساس ماذا وراء الفوضى الخلاقة. ولهذا ارتبكت وخسرت الكثير، ولقد تعزز فشلها من خلال الصراع بين الأجهزة والوزارات الأمريكية في داخل العراق والمنطقة، أما ايران فتعرف أن ما وراء الفوضى الخلاقة هو السيطرة على ضفتي الخليج العربي، ومن ثم الذهاب نحو لعبة النفط من خلال تحديد الأسعار ومضايقة الولايات المتحدة من خلال النفوذ الايراني في المنطقة، أي أن مصالح الولايات المتحدة والغرب ستكون تحت رحمة ايران.

ولكن هذا لن يتحقق الا من خلال تحقيق (الهلال الشيعي الايراني) وأن التشيّع هنا لا ينسحب على الشيعة العرب وتحديدا في العراق، لأن التشيّع في العراق هو تشيّع عقائدي يستند على مدرسة أهل البيت عليهم السلام، أما التشيّع الايراني فهو تشيّع براغماتي سياسي يقود لدعم اعادة الامبراطورية الفارسية (الساسانية)، أي أن التشيّع عند الايرانيين يعود الى الشاه اسماعيل الصفوي الذي كان عمره 13 عاما عندما أمر بتشييع ايران السنية في بداية القرن السادس عشر الميلادي، وأكمله الشاه نادر قلي والذي كان جبارا من جبابرة التاريخ، وكان راعيا للغنم وقاطع طريق حسب الشهادات التاريخية، ولقد لقب من قبل الأوروبيين بـ (نابليون الشرق)، لذا فلو قورن مع التشيّع عند الشيعة العرب والذي تشيّعهم يذهب لمدرسة الامام جعفر الصادق، وليس الى مدرسة الشاه اسماعيل والشاه نادر قلي.

لهذا ففي حالة عدم نجاح حزب الله في الحصول على الأكثرية في الحكومة والبرلمان اللبنانيين فسيجبر خصومه للذهاب الى الفيدرالية (جنبلاط وجماعته) من خلال الضغط السياسي والجماهيري والاعلامي، وهذا ما تتمناه ايران والحزب وهو الموقف الذي يعولان عليه من الخصوم السياسيين، وسنعتقد أنه سيكون كذلك، وهنا ستربح ايران وينفتح الهلال من بحر لبنان ثم جنوب لبنان ثم سورية (وهنا الخطر هل أن سورية ستوافق أم أن ايران ستقلب الأمور.. أم ماذا؟) ثم العراق حيث النفوذ الايراني، بعدها البحرين ثم هيرات في أفغانستان، ولم تبق لدى ايران الا الشرقية السعودية، وهنا ستتبع سياسة الكماشة من جهة اليمن والعراق (وحسب الخطط الايرانية الخمسينية) أو من خلال كماشة البحرين والعراق، أو من خلال المقايضة بالبحرين التي ربما ستبتلعها ايران وبخطط انكليزية مثلما ابتلعت امارة المحمرة عام 1925 (أمارة الشيخ خزعل الكعبي) والتي يسكنها الآن حوالي 8 ملايين نسمه كلهم من العرب الذين نسيتهم الجامعة العربية والدول العربية، والذين يعيشون في اقليم (عربستان) تحت ظروف قاسية ومعاملة عنصرية من قبل النظام في ايران، ولو فتشتم عن النفط فلن تجدوه الا تحت أقدام العرب في عربستان، وتحت أقدام الأكراد في ايران أما بقية الأراضي الايرانية فليس فيها نفط الا ببحر قزوين فقط والمكلف جدا، فهل فكر أحد بذلك؟

لهذا فإن دولة البحرين وضمن المستقبل المنظور أمام مقايضة ايرانية عربية، أو مقايضة ايرانية أمريكية وستكون مقايضتها مقابل الشرقية السعودية، أو مقابل خروج ايران من العراق.

وبهذا فسيكون الرابح الوحيد هو ايران، ولكن هل سينجح القوس السني الذي تبلور أخيرا ضد الهلال الشيعي؟

فهذا يصعب التكهن به، ومن ثم يقزز العرب جميعا لأنه يخدم المخططات الغربية والأمريكية والاسرائيلية والايرانية، بأن يكون هناك هلال شيعي وقوس سني، وتتحول القضية الى صراع مذهبي، ويكون الخاسر الوحيد هو الاسلام والمشروع العروبي الذي يدعم ويعزز الاسلام، وسيكون الضحايا من المسلمين والمسيحيين الشرقيين والأديان والمذاهب الأخرى وحينها سيتم سحق العراق والعراقيين ونسيان عربستان للأبد وربما سيكون سببا بحرب كونية ثالثة!!

فهل هناك أصوات عاقلة توقف طبول الحرب المذهبية؟

* كاتب ومحلل سياسي عراقي
مركز البحوث والمعلومات / أوروبا

عبد العزيز الحكيم والخيارات المرة!

جمال محمد تقي*

■ لغة بوش واضحة ولا تقبل التأويل ـ معنا او علينا ـ ويبدو ان الوضع الامريكي لم يعد يحتمل من مثل تلك المراوغات والروزخونيات التي يحاول الحكيم تكييف وضعه من خلالها مع متطلبات الولاء لايران والمتطلبات الضاغطة في الولاء لامريكا وسياستها في العراق والتي تتناقض في الكثير من مفاصلها النهائية مع انماء النفوذ الايراني فيه، وعلى هذا النحو المخل بموازين القوى ومجالها الحيوي والتي من المؤكد انها ستكون ورقة ضغط على امريكا في تجاذبات القوة الجارية مع ايران نفسها!

ان دورالوسيط حتى وان كان شكليا والذي يتوسل الحكيم لان يلعبه بين الجانبين الامريكي والايراني من خلال الاتصالات المباشرة بينه وبين خليل زادة وايضا بينه وبين مسؤولين من الحرس الثوري الايراني والمخابرات ـ اطلاعات ـ الذين يدخلون العراق بصفات ديبلوماسية لسفارتهم في بغداد او سياحة دينية مع زوار العتبات المقدسة، لا يستقيم مع مفردات الارادة الامريكية ومساحة المواجهة التي لا تتطلب وجود وسيط وانما وجود منفذ مطيع فقط، ولم يسترع تطوعه المدفوع ايرانيا اي اهتمام امريكي، هي قد تراعي حرج علنية هذه المطالبة بالنسبة للمعممين من جماعة الحكيم والسيستاني والمالكي لكنها واضحة في سهامها وواضحة في تشخيصاتها وعملها ومن لا يجتهد في خدمتها فان مصيره يصبح على كف خليل زادة وفرق نغروبونتي!

ان محاولة التوفيق بين الولاءات المتناقضة دون ان يخسر فيها احد من اصحابها، عملية اشبه ما تكون بمستحيلة وخاصة ان اللعب اصبح على المكشوف بين الاطراف الاساسية في الصراع داخل العراق.

ان يخدم ايران وامريكا في آن واحد وفي موضوع واحد كموضوع العراق، وكل طرف منهما يريد حيازة اكبر قدر من اوراق الضغط فيه امر لا يستطيع فعله حتى لورنس العرب فكيف بواحد مثل الحكيم؟

حتى العمالة المزدوجة لا بد ان تصل الى نقطة حرجة تحتم على العميل تحديد خياره الاخير وغالبا ما تكون تلك المواقف اجبارية تفرضها اشكال المواجهة بين الطرفين اللذين يعمل لحسابهما العميل!

سياسة ارضاء الطرفين قد تكون ناجحة في فترة ما قبل الغزو الامريكي للعراق وبعده، اما الان وقد حصل ما حصل من ورطة امريكية حقيقية لم يحسب لها حساب ومن تداعيات اذا لم تجر ملاحقتها فستكون كارثة استراتيجية، هنا الامر سيختلف حتما، لاننا اذا سلمنا بان امريكا ستقبل بالوضع كما هو عليه فهذا يعني انها تقبل بهزيمة كل مشروعها الشرق اوسطي وهذا ما لا تتحمله امريكا ولا تريده، بل هي تسعى للمساومة عراقيا دون ان تكون لهذه المساومة تداعيات دراماتيكية على عموم سياستها في المنطقة، ويبدو ان لا مخرج امامها الا فعل ذلك لتبقي على مكانتها في المنطقة والعالم!

والمساومة عراقيا تعني تقليم اظفار النفوذ الايراني وما يستتبعه من ملاحقة للميليشيات السائرة بركابه مع تقوية مؤسسات الدولة العراقية بشكل جدي وافساح المجال امام قوى المقاومة العراقية والجيش العراقي الاصيل للعب دور اساسي في العراق بعد الاتفاق على جدولة الانسحاب الامريكي، واعتراف الامريكان بالمقاومة كواجهة عراقية اصيلة!

هذه الحالة الجديدة التي ستجيء نتيجة جهاد ونضال كل ابناء العراق الرافضين للاحتلال وتداعياته ستكون حتما على حساب اعوان الاحتلال من طائفيين وتقسيميين على اختلاف مشاربهم وستمكن الارادة المغيبة اي ارادة الوطنية العراقية بعروبتها واسلاميتها وانسانيتها الثقافية وبشمولها التعددي السياسي على تحقيق جل اسس برنامجها الانتقالي الذي يؤسس لحياة برلمانية حقيقية في ظل عراق هو سيد نفسه متحرر وقوي!

ان الافق يؤشر الى هذا المنحى، وبما ان الحكيم وامثاله من اتباع العملية السياسية الفاشلة في العراق هم الخاسر الاكبر محليا فانهم يتوقون لمنع هذا التحول ويعتبرون قوة المقاومة اكبر تهديد لوجودهم لذلك تجدهم تارة يقللون من شأنها وتارة يصفونها كاسيادهم بالارهاب وتارة يعظمون من خطرها ليبرروا فشلهم في عدم انجاز اي رغبة شعبية حقيقية مثل المصالحة والامن والاعمار والحد من الفساد وتقوية مفاصل الدولة، وسلسلة طويلة لا يمكن لاركان هذه العملية السياسية المزيفة والعاملين بها وغير المؤهلين لانجازها اصلا تحقيقها، فلا الانتخابات ديمقراطية لانها جرت في ظل شروط غير ديمقراطية ولا الاستفتاء على الدستور هو معيار لاي ارادة شعبية لانها سلبت مقدما باسم مراجع الطائفة واقطاعيي الشمال، وعليه فان كل الذي فعلوه من ترتيبات وكانها لم تحصل لانها بلا معنى حقيقي وخالية من مضامين مسمياتها، وبذات الوقت فان ايران ايضا لا تتوق لهذا التحول الامريكي القادم لانه سيحرمها من ورقة ضغط حقيقية في العراق وسيحرمها من مجال حيوي للنفوذ، وعليه فهي ومهما صرح اقطاب حكمها من مطالباتهم بالانسحاب الامريكي من العراق كذر للرماد في العيون وخلط للاوراق فانهم يسعون لبقاء الحال على ما هو عليه حتى يستطيعوا هم الاستفادة من الوقت لتنفيذ وتقوية مشاريعهم في العراق او في غيره.

ومن التناقضات التي نجدها طبيعية في خضم هذه المعمعة ان الحكومة الايرانية قد رحبت حقيقة بالفوز الديمقراطي بانتخابات الكونغرس الامريكي لانها تجد فيه معرقلا لاي تماد امريكي على مشروعها النووي وهو بهذا المعنى المحسوب لا يحسم امر الورقة العراقية لان فوز الديمقراطيين لا يعني بأي حال من الاحوال تغييرا جذريا في النهج الامريكي لكنه سيكون بداية لانهاء الاحتلال المباشر الذي بات مكلفا جدا، وفي هذه الجزئية مثلا فان جماعة العملية السياسية لم يسعدهم الفوز الديمقراطي واعتبروه علامة سلبية على مسار التعاطي الامريكي مع موضوعة ابقاء الحال كما هو عليه ودون ايجاد تغييرات قد تؤدي الى انحسار نفوذهم وقوة للمعادين لعمليتهم الفاشلة وهذا بحد ذاته تهديد بانتزاع المكاسب التي حققوها دون وجه حق!

من هنا نجد ان جماعة الحكيم والمالكي في اتعس اوقاتهم لانهم لا يملكون خيارات فاما ان يتحملوا كل تبعات التحول الامريكي الذي سيساوم مع خصومهم في العراق وإما ان يربطوا مصيرهم مع ايران بوجه اي تحول امريكي، وبذلك سيكشفون اوراقهم عراقيا وعربيا وهم لا يريدون ذلك لانهم وهم مع امريكا متهمون عراقيا وعربيا بالتحالف مع ايران فكيف الامر اذا اصبحوا مكشوفين وبدون غطاء امريكي!

امريكا لا تريد نفوذا ايرانيا يعرقل مساعيها وهي لا تستطيع مواجهة الخسائر بسبب اعمال المقاومة اذن لا حل غير المساومة مع المقاومة التي لا تقبل بدورها بأقل من طرد النفوذين الامريكي والايراني من العراق!

الحكيم يطرح مساومة لاغراء الامريكان

لقد ذهب الى عمان املا في التقاء بوش فلم يعره الاخير اهمية وهو لا يحمل معه للمالكي اكثر او اقل من الانذارات والمهلة الزمنية التي منحت له حتى ينفذ ما يطلب منه كي لا تقلب امريكا الطاولة عليه وعلى جماعته!

حاول ان يستعين بخليل زادة فلم يسعفه الاخير لانه يعرفه بولاءات متعددة، ولا يمكن الركون اليه، لذلك حزم امره للحج الى واشنطن حتى يعرض خدماته التي تلكأ في تقديمها سابقا، وهي القضاء على تيار مقتدى الصدر حتى لو ادى ذلك لقتل مقتدى الصدر نفسه، هذا الامر يتحمس له ايضا وباندفاع الطالباني والبارزاني وبدرجة اقل المالكي كعربون مطلوب ليساعد بوش على تخطي اي تحول غير سار قد يفرضه الديمقراطيون!

طبعا تتكفل القوات الامريكية بالموضوع مثلما تستمر بتكفلها للمقاومين في المناطق الاخرى، الامريكان يتحفزون لتحقيق ذلك ومنذ زمن، لكن تاكيدات الحكيم والمالكي والبارزاني والطالباني على اهمية اختيار الوقت المناسب لتفادي التداعيات السلبية قد اخر من عملية الشروع بالتنفيذ، فهذا التيار يشكل حالة غير منضبطة وليس من السهل السيطرة عليها وعلى عناصرها امريكيا.

لقد جرى اجتماع عمان في نفس الوقت الذي قدمت به ما يسمى بالحكومة العراقية طلبا الى مجلس الامن لتجديد بقاء القوات المحتلة في العراق لمدة عام اخر، وهذا الامر مر دون ضجة تذكر حتى من لدن التيار الصدري نفسه الذي وقف طويلا في العام الماضي احتجاجا على طلب الجعفري من مجلس الامن لتمديد بقاء القوات، ويبدو ان الامر ملتبس بترتيب متعدد الاطراف حيث لو اصر اعضاء التيار الصدري في البرلمان على مناقشة الطلب والتصويت عليه لكان قد خلق نوعا من الضجة والفضيحة للمجلس والحكومة والقوات الامريكية معا، لكن جماعة التيار الصدري احتجت على زيارة عمان دون ان تحتج على الطلب.

ان الخلاص من مقتدى الصدر وجماعته وفي الوقت المناسب هو مصلحة للحكيم والمالكي والبارزاني والطالباني قبل ان تكون مصلحة للقوات الامريكية، لان نفوذ هذا التيار يحرم الجماعات الاخرى من الانفراد بالساحة، ولانه يعارض وبشدة انضمام كركوك الى ما يسمى بفدرالية كردستان، ويعارض التقسيم الفدرالي اصلا، كل هذه الاسباب تجعله مؤهلا لتقديمه من اصحاب العملية السياسية ككبش فداء للقوات الامريكية التي تريد ان تظهر بمظهر المنتصر في اي عمل لها داخل العراق، علما ان معظم قواعد وقيادات هذا التيار هم من العرب الشيعة، مما توفر تصفيته فرصة للميليشيات ذات البعد الايراني في السيطرة على الساحة، وهنا تلعب جماعة قوات بدر التابعة للحكيم دورا عقربيا في تنسيب اغلب اعمال القتل الطائفي لجيش المهدي التابع للصدر واحيانا تدبر اعمال شغب ضد القوات الامريكية حتى توجه انظارها اليه للقصاص منه وتقليم اظافره مستفيدة من سوء تنظيمه وسهولة اختراقه.

سيستجدي الحكيم كما يفعل المالكي في اللقاءات غير العلنية مع الادارة الامريكية البقاء دون اي تحول على نهجهم، وسيكون مستعدا لتنفيذ كل ما تطلبه منه دون تلكؤ لضمان استمرار الحال كما هو عليه، ومن هذا المنطلق تجيء تصريحات الحكيم بالرد على دعوة كوفي عنان لعقد مؤتمر دولي حول العراق لايجاد حل لأزمته المستفحلة، ان مجرد صدور هذه الدعوة هو دليل آخر على ان المنظمة الدولية واغلب دول العالم لا تثق بالحكومة الامريكية او العراقية ولا بجدوى العملية السياسية الجارية في العراق، مما يزيد من حراجة الحكومة العراقية المطعون اصلا بشرعيتها، وهذا الامر سيجعل قوى المقاومة اكثر قدرة على التحرك ويرفع من رصيدها ومعنوياتها مما يضاعف درجات الانكسار عند جماعة الحكيم ورهطهم!

* كاتب من العراق

وجهة نظر في نزاع الصحراء

محمد أنوار محمد*

■ في حرب الصحراء وعلى صعيد الاستراتيجية العامة العسكرية تمكن الجيش المغربي من انجاز تفوق استراتيجي ميداني مدعوما بتحركات سياسية نجحت في المحافظة عليه. هذا التفوق الاستراتيجي الميداني تمثل في الضبط الأمني ـ العسكري لمنطقتي وادي الذهب والساقية الحمراء، وبناء الجدار الأمني، وارغام الخصم على التراجع الى تندوف. غير أن هذا النجاح العسكري لم يترتب عنه هزم الخصم كليا وظل «القرار النهائي» معلقا... لماذا؟ يمكن اقتراح الاطار التفسيري التالي الذي يقدم بعض وليس كل عناصر الاجابة.

أولا، ساهم التناظر الذي طبع السياق الاستراتيجي العالمي في عدم وأد النزاع في مراحله الأولى، لأن الحسم في النزاع لم يكن على ما يبدو ممكنا في ظل العدائية والمنافسة الشديدة على مناطق النفوذ بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة. أيضا لأن النزاع اعتبر هامشيا ومحدود الأثر، لم تبذل القوى الكبرى مجهودا متميزا لحله واكتفت بالضبط والتوجيه. وربما أخيرا لأن النزاع في حد ذاته كان وظيفيا على الأقل من وجهة نظر الصناعة والتجارة العسكرية.

ثانيا، أثر المحيط العدواني بشكل أساسي في ديمومة النزاع. لقد أدى الاتفاق الأسباني الجزائري من جهة الى دعم أسبانيا لخصم المغرب ومن جهة أخرى الى التزام الجزائر بعدم تقديم الدعم اللوجيستي لحركة المطالبة بالاستقلال في جزر الكناري (دعمتها الجزائر لوجيستيا ما بين 1975 ـ 1978). يمكن في نفس السياق اضافة الاعتراف الموريتاني بالخصم سنة 1979، وصعود الأحزاب الاشتراكية الى الحكم في فرنسا

و أسبانيا في بداية الثمانينيات، وبعدئذ تشكل محور الجزائر ـ جنوب افريقيا ـ نيجيريا.

ثالثا، نظرا للاعتبارين السابقين (سياق استراتيجي موسوم بالتناظر ومحيط عدواني نشيط)، فالعمل الدبلوماسي المغربي انحصر غالبا في دول توجد في وضعيات نزاعية مشابهة أو ذات سمات سياسية مماثلة أو مندرجة في اطار المنظومة الغربية. ان عدم فعالية الدبلوماسية ابان تلك الفترة يمكن تبريرها بتعذر بناء فرضيات ربح ممكنة في ظل شروط غير ملائمة. لذلك سيظهر قرار قبول المغرب للاستفتاء (26 حزيران/ يونيو 1981) كحركة كرونوستراتيجية تدمج المستقبل في الحاضر وتراهن على زمن يتغير فيه المعطى الاستراتيجي الدولي.

رابعا، تواجد الخصم على التراب الجزائري حال دون توجيه الضربة القاصمة له، خصوصا وأن التفاوت في التسلح والكفاءة العسكرية في البداية كان جليا. نتج عن ذلك أن الخصم كان باستطاعته القيام بعمليات تستهدف القوات المسلحة المغربية المتمركزة في الصحراء والتي تقتصر على الدفاع والمطاردة دون الهجوم. وهذا، بدون شك، كان عاملا/حاجزا لبناء استراتيجي ميداني يستهدف هزم الخصم نهائيا.

خامسا، جاذبية مبدأ «حق الشعوب في تقرير المصير» ومكانته لدى شعوب العالم. ان عددا من الفاعلين الدوليين تمثلوا نزاع الصحراء بكيفية ساهمت في تدعيم أطروحة الخصم. هكذا دخل المغرب حرب «بناء المعنى» باذلا مجهودا لتأكيد مغربية الصحراء. ويبدو أنه ساير في ذلك استراتيجية الخصم. فالأمر بدا، في البداية، كأنه مرتبط بصراع هوياتي مما أدى الى تغييب جوهر النزاع. بدل ذلك كان الأجدى اقناع المجتمع الدولي بالبعدين الجيو اقتصادي والجيو استراتيجي اللذين يجعلان الجزائر تسعى جاهدة لفتح نافذة على المحيط الأطلسي (الجوهر). ان مقولة الشعب الصحراوي كان لامعناها سيظهر مع الوعي بالرهانات التي تحكمها.

سادسا، تذبذب التنمية في المنطقة.. فبالرغم من المجهودات التي بذلها المغرب للنهوض حينها وبعد ذلك بالصحراء، الا أن هذا المجهود لم ينتج على ما يبدو «امتيازات جماعية كبرى» يصعب معها على المستفيدين التفكير في الانسياق مع «أطروحة الانفصال» أو تعمق الثقة في مآل العملية الاستفتائية... وطنيا كانت اخفاقات السياسات الاجتماعية والاضطرابات ذات الطابع السوسيو سياسي تزيد من اعطاء الخصم فرصة لايجاد ثغرات تدعم مطالبه وبالتالي حشد الدعم المادي والمعنوي.

سابعا، الانتقال من المواجهة الميدانية الى ادراك دور الزمن والمفاوضة في انهاء الصراع. تشكل هذا الوعي في المغرب سنة 1981، بينما لم يتشكل لدى الخصم الا سنة 1988 بعد موافقته على مخطط السلام المقترح من قبل الأمين العام للأمم المتحدة، وتأكد باتفاق وقف اطلاق النار (6 ايلول/ سبتمبر1991). ان الاتفاق اتجه منذ البداية الى الاختلاف. هكذا أدى تأويل شروط أهلية التصويت الى سعي كل طرف الى فرض شروطه ووجهة نظره مما ساهم في خلق وضعية «لاحرب/لاسلم» وفي فتح امكانية رفع أو خفض وتيرة النزاع. حينها تبين التشابه في الموقف. قبول الاستفتاء ورهن ذلك بشروط. الخلاصة: «كما تفعل أفعل». تأكد ذلك بعد فتح المغرب لنافذة الحل الثالث حيث سارعت الجزائر الى اقتراح «تقسيم الصحراء». الخلاصة الأخرى: تقليص امكانية الحل الى أدنى حد ممكن (تعجيز الخصم، استبعاد الحل المنافس...). وفي كل مرة وكأنها يقيسان درجة صلابة ارادتيهما: الجزائر تصف المغرب بالقوة المحتلة

و المغرب يحدد الخصم في الجزائر. المغرب يقترح حل